

القِلَادَةُ الْمُعَلَّقَةُ عَلَى جِيدِ الْمُعَلَّقَةِ

زار أخي وصديقي الشيخ عبدالله بن محمد المُقَحِّم (أبو ثابت) حيَّ البطحاء، وسط مدينة الرياض، فدعاه داعي الشوق إلى الوقوف على أطلال معهد الرياض العلمي، المعهد الذي درسنا فيه العلوم الشرعيَّة واللُّغويَّة قبل ربع قرن، فلما اقترب منه راعه رؤيةٌ كتاباتٍ أعجميَّةٍ عُلقَتْ على أركانه، فاقترب من رجلٍ مُسنٍّ من أهل الحيِّ فسأله، فقال المُسنُّ ودموعه على خديِّه: كان هذا المبنى مقرّاً للمعهد العلمي ولكليَّة الشريعة واللُّغة، وهو الآن كما ترى: مقرٌّ لمدرسةٍ عالميَّةٍ لجاليةٍ أعجميَّة، فأنشأ أبو ثابتٍ قصيدةً سائرةً سمَّاها (مُعَلَّقَةُ الذِّكْرِيَّاتِ) عارضها بعض الشعراء من الشيوخ والزُملاء، فشاركتهم بهذه الأبيات.

بكاؤكما ألقى فؤادي على يدي	ودمعكما أودى بباقي تجلدي
وعاودني من بارح الحزن عائد	أهاج حيني نحو ربي ومعهد
عشيَّة وافتني قصيدةً صاحب	كفنةٍ مصدورٍ وآهةٍ أكمد
مُعَلَّقَةُ للذكرياتِ تدفقت	فأذكت وأبكت قلب صبِّ مُبدد
ألا أيُّها الحادي رويدك فأتد	وبالله أحسن في محبِّ مُسهَّد
يُورِّقُه من سورة الشوق لاعج	إذا نام جفنُ السادرِ المُتبدد
تذكر أياماً حساناً تصرمت	وأفضلَ روادٍ لأفضلِ مورد
شبابٌ على توحيدِ ربي ترعرعوا	فليله كم من ألمعيِّ مُوحد
على السنَّة الغراءِ عَضُّوا أناملاً	يُقْفون آثارَ النبيِّ مُحَمَّد
ترى بيننا النعمانَ يمشي ومالكاً	وطلابَ علمِ الشافعيِّ وأحمد

وَمِنَّا تَرَى أَهْلَ الْحَدِيثِ تَخَالُهُمْ
 وَكَمْ كَانَ فِينَا مِنْ إِمَامٍ وَمُسْنِدٍ
 وَنُرُوي مِنْ الشِّعْرِ الْجَمِيلِ عِيُونَهُ
 وَفِينَا نُحَاةُ الْبَصْرَتَيْنِ تَرَاهُمْ
 أَبَا ثَابِتٍ، جَدَّدْتَ حُزْنَ قَلْبِنَا
 حَنَانِيكَ يَا أَسْتَاذُ، صَبْرًا، تَجَلَّدًا
 فَلَمْ يَعْفُ رَسْمُ الدِّينِ إِلَّا أَتَى لَهُ
 أَلَمْ تَرَ آلَافَ الشَّبَابِ تَجَرَّدُوا
 أَلَمْ تَرَ عُمَّارَ الْمَسَاجِدِ سُجَّدًا؟
 أَلَمْ تَرَ طُلَّابَ الْعُلُومِ تَأَلَّقُوا
 فَبُشْرَاكَ إِنَّ الضُّوْءَ يَخْبُو هُنَيْهَةً
 وَإِنَّ إِلَهَ الْحَقِّ نَاصِرُ دِينِهِ
 وَبَعْدُ، فَقَدْ أَقْحَمْتَنِي يَا ابْنَ مُقْحَمٍ
 وَهَذَا جَوَابُ صُعْتِهِ كَقِلَادَةٍ
 تَسَامَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ ثُمَّ تَفَرَّدَتْ

كَمِثْلِ عَطَاءِ ذِي الْعُلَا وَمُسَدِّدٍ
 وَكَمْ قَدْ خَتَمْنَا مِنْ صَاحِحٍ وَمُسْنِدٍ
 وَنُنشِدُ شِعْرَ الْجَاهِلِيِّ وَالْمَوْلِدِ
 كَأَخْفَشَ وَالزَّجَّاجِ أَوْ كَالْمُبَرِّدِ
 أَيَا حُزْنَ هَذَا الْقَلْبِ لَا تَتَجَدَّدِ
 فَلَا بُدَّ مِنْ صَبْرٍ لَنَا وَتَجَلُّدِ
 إِلَهَ الْوَرَى مِنْ فَضْلِهِ بِمُجَدِّدِ
 لِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ كُلِّ التَّجَرُّدِ؟
 وَأَنْعِمَ بِقَوْمٍ فِي الْمَسَاجِدِ سُجَّدِ
 بِحِفْظِ وَفَهْمِ حَازِقٍ وَمُسَدِّدِ؟
 وَيَرْجِعُ وَضَاءً جَمِيلَ التَّوَقُّدِ
 وَقَاهِرُ مَنْ نَاوَاهُ مِنْ كُلِّ مُفْسِدِ
 فَخُضْتُ غَمَّارَ الشِّعْرِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ
 فَضَعَهَا حَبِيبَ الْقَلْبِ فَوْقَ الْمُقَلَّدِ
 بِأَصْدَقِ إِحْسَاسٍ وَأَطْيَبِ مَقْصِدِ

محمد بن سليمان المهنا

الرياض

٨ رجب ١٤٤٠ هـ